

مقتطفات

من كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي

Un Ms. inconnu d'Ibn Fûty.

- تنمة -

ذكر نقل المستنصر بالله من مدغته بدار الخلافة الى الثرب بالرصافة

في ليلة جمعة حادي عشر شعبان ارادوا نقله فبيت ربح منعت من ذلك .
فقال جمال الدين ابو الحسن المغربي ارتجالا :

تحركت الرياح الهوج لما اريد بكعبة الجود ارتجالا (١)؟
وقالت من يعلمني سخطا اهب به ويفركم نوالا
فقلت لها : خليفته المرجى امام مصر فانتقلت شمالا
فنقل في ليلة السبت ثاني عشره الى موضع كان قد اعد له منفا وبني
عليه قبة . وكانت صورة نقله ان تقدم الى كافة الزعماء ما عدا اصحاب المشاد
والى المماليك وكافة مشايخ الربط والصوفية والفقهاء والمدرسين ما عدا مدرسي
المستصرية والنظامية بالتوجه على طريقة مشرعة الرصافة وتقدم الى من عداهم
ان يقصدوا دار الخلافة بغير الطريق وان يرفع القضاة والمدرسون الطرحات
والعنول الطيالة وارباب العز عززهم واصحاب المشاد مشادهم ويركب الزعماء
بالاقية البيض والسرايش وارباب الدولة كل واحد منهم بقميص ابيض وبقيار
ايض مسكن وغاشية سد (٢) (٣) فركبوا وقصدوا دار الوزارة ما عدا مجاهد
الدين النوبدار الصغير وعلاء الدين النوبدار الكبير واستاذ الدار مؤيد الدين
محبين العظمي . فلما تكمل من عدا هؤلاء في دار الوزارة تقدم اليهم بقصد دار
الخلافة والدخول بباب عليان الى صحر (صحن ?) السلام فمضوا هناك قبل
غروب الشمس . واما الوزير ابن الناقد فانه خرج في محفة ودخل من باب السامي

(١) كذا ورد في المخطوط ولعل الصواب : ارادت كعبة الجود ارتجالا . لـع

(٢) الاستهتام في النسخة للهداة ايضا ولم اهتم الى معرفة هاتين الكلمتين .

(?) [لعلمها القائي] ثم قصد هؤلاء كلهم دجلة فخرج الصندوق الذي فيه الخليفة فلما عاينوه قبلوا الأرض وأعلنوا باليكا . ثم حط في شجرة طويلة يجنف فيها خمسة عشر ملاحا في صنها قبة مجللة بسجاف اطلس اسود ونزل فيها الشرابي واستاذ الدار وابن درة المعمار فوقفوا بين الصندوق ولم ينزل الوزير لمجزة عن القيام . ونزل جميع ارباب الدولة والامراء في سفن قياما بين ايديهم شموع كبيرة . فلما وصلوا مشرعة الرصافة رفع الصندوق على الرؤوس وامتد الناس كلهم بين يديه الى التربة فدفن رحمه الله في الموضع الذي اعد له ثم فرقت الربعة الشريفة وقرئت ... [هذه النقاط في الاصل المهدى] واهدت له وانصرف الناس قبيل نصف الليل ثم ترددوا الى التراب يوم الثلاثاء ويوم الاثنين [و] في كل يوم تقرأ الختمة ويتكلم « جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي » ويدعو الملك شمس الدين علي بن النسابة ونقيب الثغاة ونائبه .

في شعبان تقدم الى « جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي » ان يجلس بالوعظ يباب بدر ورتب الملك شمس الدين علي بن التيار شيخا لرباط الحرم .

سنة ٦٤١ (١٢٤٣ م) فيها تقدم الخليفة الى « جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي » المحتسب ...

وفيهما نفذ « يحيى الدين يوسف بن الجوزي » رسولا الى ملك الروم كيخسرو بن كيقباد فاجتمع به في انطاكية فلما عاد حكي اشياء غريبة منها ان النساء يتعممن كالرجال والرجال يلبسون السراقوجات ...

سنة ٦٤٢ (١٢٤٤ م) في هذه السنة سير الملك الصالح ايوب ... عسكريا الى مدينة دمشق فنزلوا عليها ... وكان الملك الصالح اسمعيل ... صاحب دمشق فيها فضج ... فراسل ابن عمه الملك الصالح ايوب ... فاسقرت القاعدة على ان ينفرد الملك الصالح اسمعيل بملك باعليك « بعليك » ويمضي باهله اليها فاجاب الى ذلك وخرج ليلا وارسل الملك الصالح ايوب الى الخليفة عبد الرحمن ابن عسرون يخبره بذلك فارسل الخليفة اليه التقليد والخلع مع « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » الواعظ منروس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية فتوجه ابن

عصرون صحبته .

سنة ٦٤٤ (١٢٤٦ م) وفيها وقع الشروع في عمارة مسنأة دار على مشاطىء دجلة في بستان الصرافة المنقل الى الخليفة من البهلوان ابن الاملير فلك الدين محمد بن سقز وتولى العمل في ذلك استاذ الدار « محيي الدين يوسف بن الجوزي » فسأل في بعض الايام المشاهر عن اسمه فقال : « خالد » فقال :

نظرت الى الخلد الشريف بفكرتي فبشرني ان الخليفة خالد
اذ الاسم معناه الخلود حقيقة واكد اسم المشاهر خالد

سنة ٦٤٥ (١٢٤٧ م) فيها حضر مدرسو المستنصرية الى دار الوزير وتقدم اليهم ان لا يذكروا شيئا من تصانيفهم ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها بل يذكروا كلام المشايخ تأديبا معهم وتبركا بهم واجاب « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » مدرسو الحنابلة بالسمع والطاعة ...

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥ م) ذكر ولاية « ابن الجوزي » استاذ الدار . في تاسع ربيع الاول مضى صلاح الدين عمر بن جلندك الى « محيي الدين يوسف بن الجوزي » وهو في منزله بباب الازج فاستدعاه فركب - وقد رفع الطرحة - الى الدار المقابلة لباب الفردوس المرسومة بسكنى الاستاذ دارية واجلسه في المنصب من غير ان يخلع عليه وشافه بالولاية ودخل الناس اليه مهئين له وركب من القدي جمع عظيم الى دار الوزير فجلس عند مؤيد الدين نائب الوزارة ساعة ثم عاد الى داره .

وفيها رتب « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » مدرسا لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية وخلع عليه واعطى بغلة وتقدم الى صاحب الديوان فخر الدين بن الخرمي وجميع ارباب المناصب بالحضور الى المدرسة فحضرها ورتب « اخو » شرف الدين عبدالله « محتسبا عليه . وخلع عليه من غير ان يشهد عند القاضي . ولم يعلم ان محتسبا تولى غير شاهد سواه .

وقد نظم عز الدين ابو الحسن علي ابن اسامة العلوي قصيدة يتهى بها استاذ الدار مما تجلده لولديه . يقول فيها :

مولاي « محيي الدين » يامولى به كل البرية في الحقيقة يقتدي

أنت المهنا بالذي قد خول
 وهل البشارة للمراتب والذي
 قد قلت حين رأيت كلا منكما
 هذان ما خطبنا المراتب انما
 وهما من القوم الآل خدماتهم
 ولانت مولانا المليك من الوري
 انتم لدين محمد شيدتم
 فالله يجزي الخير كلا منكم
 وكذلك يرعاكم بعين عنايته

«ولذلك» ام نفس العلى والسؤدد
 ولياء ام لك يا كريم المحتد
 كالبر في جنح الظلام الاسود
 خطبتهما المناقب لم تجمد (?) (٣)
 شرفا تصير لسيد عن سيد
 وهما احق بمسند ومسند
 علما به وكذلك مذهب احد
 عن احمد ومن النبي محمد
 ويمدكم منه بعمر سرمد

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥ م) وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد وتجاه قطعتا التي امرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم ام ولد ابى نصر المعروفة باب بشير وجعلتها وقفا على المذاهب الاربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية ووقفت عليها وقفا كثيرة قبل فراغها . وكلت فتحها يوم الخميس ثالث عشري جمادى الآخرة وحضر الخليفة واولاده فجلسوا في وسطها وحضر الوزير وارباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون وكان المدرس بها سراج الدين التهرقي اقضى القضاة «وشرف الدين عبدالله بن استاذ الدار محبي الدين بن الجوزي» ونور الدين محمد بن العربي الخوارزمي الحنفي وعلم الدين احمد بن الضرماسحي المالكي . وعملت وظيفة عظيمة وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة والفراشين وخسدم القبة وانشئت الاشعار وكان يوما مشهورا . وكانت وفاة البشيرية في السنة الماضية على ما ذكرنا .

سنة ٦٥٦ [١٢٥٨ م] ثم عين على بعض الامراء فنخل [هولاء] بغداد ومعه جماعة ونائب استاذ الدار « ابن الجوزي » وجاؤوا الى اعمام الخليفة وانسابه الذين كانوا في دار الصخر (?) ودار الشجرة فكانوا يطلبون واحدا بعد آخر فيخرج باولاده وجواربه فيحمل الى مقبرة الحلال التي تجاه المنطرة فيقتل (٣) كلها في الاصل المخطوط ولعل الصواب : خطبت مناقب منها لم تجمد . ل.ع

فقتلوا جميعهم عن آخرهم. ثم قتل مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير وامير الحاج
فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وشهاب الدين سليمان
شاه بن برجم وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري وقطب الدين منبر البلكي
— الذي كان شحنة بغداد وحج بالناس عدة سنين — وعز الدين ابقرا شحنة
بغداد ايضا « ومحبي الدين ابن الجوزي استاذ الدار وولده جمال الدين عبدالرحمن
واخوه شرف الدين عبدالله (٤) واخوه تاج الدين عبد الكريم » وشيخ الشيوخ
صدر الدين علي بن التبار وشرف الدين عبدالله ابن اخيه وبهاء الدين داود
ابن المختار والقيس الطاهر شمس الدين علي بن المختار وشرف الدين محمد بن
طاووس وتقي الدين عبدالرحمن ابن الطبيب وكيل الخليفة .

وامر بعمل راس الدويدار وابن الدويدار الكبير وسليمان شاه الى الموصل
فعملت وعلقت بظاهر سور البلد ووضع السيف في اهل بغداد يوم الاثنين خامس
صفر وما زالوا في قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج
الاموال منهم باليم العقاب مدة اربعين يوما فقتلوا الرجال والنساء والصبيان
والاطفال . فلم يبق من اهل البلد ومن التجأ اليهم من اهل السواد إلا القليل
ما عدا النصاري فانهم عين لهم شحاني حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلق كثير
من المسلمين فسلموا عندهم . وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون
الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على امراء المغول وكتب لهم فرامين فلما
فتحت بغداد خرجوا الى الامراء وعادوا [و] معهم من يحرس بيوتهم . والتجأ
ايضا اليهم جماعة من جيرانهم وغيرهم فسلموا وكذلك دار الوزير مؤيد الدين
ابن العلقمي — فانه سلم بها خلق كثير — ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني

(٤) جاء في جامع التواريخ بالفارسية تأليف رشيد الدين فضل الله الوزير المقتول في
سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) طبع باريس للترميم مع ترجمة فرنسية ص ٣١٠ — ٣١١
His. des Mongols de la Perse, par Rashid ed-din, pub. avec
traduction et notes par M. Quatremère. Paris, 1836. ما ملخصه
عن الفرنسية: واندهولاكو بوقا تيمور الى الخلة والكوفة ووسط مقدم الى الخلة ثم غادرها
في اليوم العاشر من صفر [٦٥٦ هـ] متوجها نحو واسط فوصلها في اليوم السابع عشر
منه ومن هناك شخص الى خوزستان ومعه شرف الدين ابن الجوزي فالرواية مختلفة .

ودار صاحب الباب ابن الدوامي . وما عدا هذا لاما كن فاته لم يسلم فيه احد إلا من كان في الآبار والقنوات . واحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره . واستولى الخراب على البلد وكانت القتل في الدروب والأسواق كالسلول ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستعالت صورتهم وصاروا عبرة لقان يرى . ثم تودي بالامان فخرج من تخلف وقد تغيرت الوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التي لا يعب عنها باسان وهم كلكوتى اذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

واما اهل الحلة والكوفة فانهم انتزحوا الى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من اموالهم وحضر اكبرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاوروس العلوي الى حضرة السلطان وسألوا حق دمائهم فاجاب سؤالهم وعين لهم شحنة فعادوا الى بلادهم وارسلوا الى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك فحضروا باهلهم واموالهم وجمعوا مالا عظيما وحلوه الى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم .
نتيجة بحثي

وبين لنا مما ذكر ان مؤلف كتاب مناقب بفسداد هو — على الأرجح — ابو الفرج ، عبدالرحمن ، جمال الدين بن محيي الدين ، يوسف ، ابي محمد بن ابي الفرج عبدالرحمن ، جمال الدين ، ابن الجوزي وقد قتل المؤلف في بفسداد على ما رأينا .

ان الشواهد التي اتيت بها بقصد تعريف ابن الجوزي مصنف المناقب وما اتيت بشير ذلك جاءت نموذجا من الكتاب الذي ارتأى عنه الاثري في نقده « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » لغنيمة ما قوله بحرفه :

« ومما يؤخذ عليه [على غنيمة] ايضا انه نقل في مواضع عديدة حكايات مزخرفة بادوية عليها امارات الوضع عن كتاب مخطوط لمؤلف مجهول واسمه « تاريخ العراق في عهد المغول » ولا نعرف كيف جاز له الاعتماد عليه . وهو لا يعرف مؤلفه » . (مجلة الحرية البغدادية ٢ [١٩٢٥] : ٢٨٨)

ويند ان شك الاثري في ان المناقب لغير ابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ وجاء في تضاعيف الكتاب ما لا يقبله العقل من امر عدد الحماقات فليسمح لي

ان اقول : اني لا اظن ان هناك مانعا من الاعتماد على هذا المخطوط القذ وقد نقل عنه من رآه من الكتاب وفيهم احمد تيمور باشا . وقد اكون مخطئا في ظني فلاهل التدقيق والتعميص البت في منزلة الكتاب بعد وقوفهم على المنشور منه هنا وفي المجلات التي ذكرتها ولا سيما بعد ان بان انه لابن الفوطي على الأرجح وقد قال صاحب فوات الوفيات عنه « الشيخ الامام المحدث المؤرخ ... » وفي الكلمة التي يقولها المتبعون يخدمون التاريخ والحقيقة وهما الغاية المتوخاة .

يعقوب نعوم سركيس

بغداد : ٢٥ ايار سنة ١٩٢٧

الوفاء الحي

من نظم الدكتور ابي شادي

مرئية تلحينية لسا كن الجنان سعد باشا نظمت لتشددها المطربة ملك

محمد (سعد) ما تناهت في مسمات دولته

عاش في خلد وعاشت في وفاء امته

(سعد) روح سوف يبقى في العصور الابدية

ينشر الحب ويرقى بالنفوس البشرية

كلنا نشدو به كلنا نبكي عليه

العل من دأبه والندى من راحته

كلنا تكوين (سعد) في ثبات وامل

اي محمد غير محمد يلهم الناس العمل ؟ !

عاش نبراسا عظيما ومثالا للابوة

كل بالروح كرما كن في خلق النبوة !

في سبيل (الثيل) ضحي في سبيل الحق عاني

واهبا (لثيل) سمحا عمره المحسود شائنا

اندييه يامعالي قسيسه يا (قنوت)

كل محمود وغال حين ينسالا يهون

وهو حي ليس ينسى !